

نظرة على المؤشرات القيادية والإدارية من وجهة نظر النبي (ص) وعلي (ع)

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/٦/٠١ تأريخ القبول: ١٤٣٩/٧/٢٣

عزت ملاابراهيمى*

خلاصة

يتوقف نجاح أي مجتمع ومؤسسة في بلوغ أهدافها ومهامها العامة والخاصة على اختيار المدراء الذين يتمتعون بالكفاءات اللازمة. إن بيان المناهج الإدارية السليمة في مواجهة مختلف الظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كان دائماً العامل الحاسم لنمو المجتمع الإسلامي وتقدمه. ومن هذا المنطلق، فإنَّ منجزِي هذا البحث الذي يعتمد على منهج المقارنة التحليلية، تطرقوا إلى التعبير عن مواقف النبي (ص) والإمام علي (ع) وأفكارهما على صعيد الإدارة. تبين النتائج التي حصلنا عليها أنَّ تدبير شؤون المجتمع الإسلامي من وجهة نظرهما عليهما السلام كان يقوم على أساس مبادئ الرقابة العامة في مجال إنفاذ القانون والتشاور مع الخبراء والحفاظ على كرامة الإنسان، وسيادة القانون، والمساواة بين الجميع أمام القانون، والتعاون بين أفراد الشعب في تنظيم الشؤون الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: القيادة، الإدارة، الإسلام، النبي محمد (ص)، الإمام علي (ع).

المقدمة

تعتبر القيادة والإدارة من وجهة نظر الإسلام مهمة حاسمة مصيرية لا تيسر إلا للرجال العظماء الذين يقودون المجتمع بناءً على الوصايا الإلهية ويكرسون حياتهم بمجملها لإقامة العدالة الاجتماعية والقضاء على الظلم وحماية حقوق المظلومين. إذا أردنا تعريف الإدارة الإسلامية، فيجب أن نقول بأنها "الاستخدام السليم للموارد البشرية المادية وفقاً لمنهج مستمد من التعاليم الإسلامية من أجل تحقيق أهداف نظام القيم الإسلامية" (عابدي وازكلي، ١٣٨٣: أ).

لذلك، فإن الإدارة الإسلامية ليست مثل الإدارة الرأسمالية التي تركز فقط على الإنتاج ضمن إطار المنافسة فحسب، وليست كالمسيحية الخملة الحديثة التي لا تزال في إطار المبادئ التوجيهية الأخلاقية وليس لديها برنامج لإدارة المجتمع، بل إنها تعتمد على تعاليم الإسلام، الدين الذي يقدم خطة دقيقة وأهدافاً سامية لأجل إدارة المجتمع (نبوي، ١٣٧٨: ٣٢). تحظى حقوق الإنسان بالاحترام في هذه الخطة التي تخلق المزيد من النشاط والديناميكية، لتضع الإنسان على مسيرة التكامل والتطور والنمو والبناء.

ونتيجة لذلك، فإن اختيار المسؤولين على مختلف مستويات المهام التنفيذية هو أحد القضايا الهامة والمهام الرئيسية للحكومة الإسلامية، لأن العامل الرئيسي في نظام الحكم يتمثل في حكمة المسؤولين. سوف تتحسن كفاءة النظام الإسلامي بشكل متزايد إذا كان المدراء المتمرسون على رأس الحكومة، لأن المدير المختص هو المحور الرئيسي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للدول. لذلك، فإن تعيين قادة المجتمع يجب أن يكون وفقاً للمعايير الإسلامية. ويستند دين الإسلام في اختيار قادة المجتمع إلى نظام الجدارة والتي تشير إلى الخصائص والسلوكيات التي تؤدي إلى فعالية الفرد في بيئة العمل (غفران، ١٣٨١: ٧٢).

وتعرف الجدارة بطرق عديدة، ولكنها غالباً ما تتضمن المعرفة والقدرات والمهارات والمواقف والأفكار والصفات الشخصية والسلوكيات والمؤهلات التي لها صلة بالأهداف التنظيمية وهي مفتاح تحقيق هذه الأهداف. وبصفة أساسية، تسمى خصائص أولئك الذين يستطيعون استيفاء معايير الفعالية جدارة هؤلاء الأفراد؛ أي أن الأفراد الجديرين هم أولئك الذين يقدمون أنماطاً من السلوك الجيدة (خنيفر، ١٣٨٠: ٨٢). وبعبارة أخرى، فإن الجدارة في المجتمع الإسلامي عبارة عن التمتع بالخصال والفضائل البارزة والالتزام والخبرة مع الحب والاهتمام، فضلاً عن التمكن والخبرة (موسى زاده وعدلي، ١٣٨٨: ١٠٦).

وتتميز المصادر الإسلامية بمحتوى غني بمفاهيم الإدارة التطبيقية. وتستخلص هذه المفاهيم من النصوص الإسلامية بشكل منهجي وبرنامج محدد من قبل الأفراد المهتمين. هناك مبادئ أساسية للحكم والحكومة في الإسلام، والتي يمكن استخلاصها من القرآن، والأحاديث والروايات وسيرة الأئمة المعصومين والزملاء الدينيين

(جمشيدان، ١٣٨٤: ١١٠). ولكن برأي المنظرين الغربيين، فإنّ المكونات الإدارية هي في الغالب أدوات، و متمحورة حول الإنسان، وخارجة عن إطار النظام التوحيد" (اعتصامي وفاضلي، ١٣٩٣: ٢٦). ومن هذا المنطلق، يمكن أن يكون التمسك بالتعاليم النبوية العلوية الثمينة والتي تمثل بحد ذاتها النموذج الإسلامي الأعلى، الحل الأمثل للصراعات وتحسين نظم الإدارة.

من خلال دراسة أفكار القيادة والإدارة لهؤلاء العظماء، يمكن للمرء أن يفهم جيداً أهمية القيادة في المجتمع الإسلامي ومكانتها، لأن أسلوب الإدارة الصحيحة من وجهة نظرهم تتمثل في الطريقة التي يواجه بها القائد الظواهر المختلفة في المجتمع. بطبيعة الحال، النجاح في هذا المجال ممكن أيضاً في الاتجاه الصحيح، على أساس المبادئ الإسلامية المقبولة والمعايير المناسبة للقيادة أو الإدارة.

وإذا قمنا على وجه التحديد بتقييم المباحث السياسية للإسلام، فسنجد أنّ الأسس النظرية لسياسة الإسلام لم تجذب أهم المعالم السياسية في العالم فحسب، ولكن لها أيضاً خصائص مميزة أخرى تمنحها تفوقاً على صعيد السياسة الشرقية والغربية، مثل التوحيد والقيم الأساسية وتحقيق أنواع مختلفة من الحريات وضمان تنفيذ السياسات. لذلك، في النظام السياسي للإسلام أو السياسة التوحيدية، يعتبر الوعي السياسي ومكافحة الفساد الاجتماعي والقضايا الأخلاقية من أهم خصائص قيادة المجتمع (رهبر، ١٣٨٥: ٨).

ضرورة البحث: إن نظرة إجمالية على تاريخ الإسلام تفيد بأن التحولات في أحوال المسلمين بدأت منذ الوقت الذي انخرقت فيه إدارة المجتمع الإسلامي عن هدفها الرئيسي، أي نشر العدالة الاجتماعية. لذلك، من الضروري دائماً معالجة الأنماط القائمة على النص الصارخ للغة النبوية والعلوية، من أجل إرساء مبادئ الإدارة الإسلامية وقواعد السلوك التي تحكم البيئة الاجتماعية ونظام الشريعة الإسلامية.

أسئلة البحث: سنحيط في بحثنا هذا على الأسئلة التالية:

١. ما هي المهمة التي حددها النبي والإمام لمدراء المجتمع الإسلامي؟

٢. ما هي السمات التي يجب أن يتسم بها المدير؟

منهج البحث: سنستعين في هذا البحث بالمنهج التحليلي المقارن، حيث حاولنا تصنيف آراء النبي (ص) والإمام علي (ع) في مجال المؤشرات الإدارية وتطرقنا إلى شرحها.

خلفية البحث: أجري حتى الآن عدد من الأبحاث حول الأسس

النظرية والعملية للإدارة الإسلامية، ومعايير اختيار المدراء وتصميم نموذج إداري مقترح في المجتمع الإسلامي. ومن أهم الدراسات التي أجريت في هذا الصدد نشير إلى ما يلي:

- مهدي جمشيدان، لمحة عن الإدارة في الإسلام، مجلة مناهج العلوم الإنسانية، العدد ٤٥، شتاء ١٣٨٤.

إنّ كلام المعصومين مصون من أي نوع من الأخطاء. فقد كانت لديهم تجارب قيمة في مجال الخلافة الإسلامية وقيادة الجيوش الإسلامية في المعركة ضد الكفار والمشركين. مع قبول الحكومة من قبل الإمام علي (ع)، مثلّ أمام العالم هذا النموذج النظري والعلمي للإدارة والحكم الإلهي على أساس العدالة، ولا يزال هذا النمط يضيء ظلام العالم (جواشي، ١٣٨٨: ٤٥). لقد عمم عليه السلام في الواقع نمط إدارته على جميع الولادة والعمال وطلب منهم وضعه نصب أعينهم. لذلك، فإنّ معايير الجدارة الإدارية، أو بعبارة أخرى، تفسير نمط الإدارة الإسلامية على أساس التعاليم النبوية والعلوية، يمكن تصنيفها في الفئات التالية، والتي تشمل المعايير الأيديولوجية والقيمية والأخلاقية والتخصصية:

١- الرقابة العامة على تنفيذ القانون

في البلدان المتقدمة، يقع تنفيذ الرقابة على عاتق بعض القوى، ولكن يولّى اهتماماً أقل للمبادئ الأخلاقية ومذاهب الناس. في الإسلام، تسهم مشاركة الجمهور بتنفيذ القوانين الاجتماعية في تنمية المجتمع. وبطبيعة الحال، فإن هذه الرقابة أيضاً شرط يعتبره الإمام علي (ع) في غاية الأهمية فيقول: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ» (نهج البلاغة، الحكمة ٧٣).

وبناء على ذلك، ينبغي أن تجري الرقابة العامة باللسان والقلم وتدخل الأفراد العصاميين الحكماء، وليس أولئك الذين يتهربون من القانون. لأن الحدود الدينية يمكن أن تنفذ من قبل شخص لم يرتكب الخطيئة نفسها. والسرُّ الأبرز للرقابة العامة يكمن في ظاهرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يؤكد عليها النبي محمد (ص): «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ» (خرمशाهي، ١٣٧٩: ٣٥٠).

ويعتبر الإمام علي عليه السلام أن الرقابة العامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوع من الجهاد: «والجهادُ مِنْهَا عَلِيٌّ أَرْبَعُ شُعَبٍ: عَلِيٌّ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» (نهج البلاغة، الحكمة ٣١).

ويحظى هذا المبدأ بأهمية كبيرة لدرجة أن الإمام علي (ع) يستعرض أداءه أمام النقد العام ويطلب من الناس ممارسة الرقابة الدقيقة عليه. يدعو عليه السلام أهل الكوفة إلى الجهاد ويطلب منهم الحكم على أدائه بشكل دقيق واتخاذ القرار: «وَإِنِّي أَذْكَرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ فَإِنْ كُنْتُ مُؤْمِنًا أَعَانَنِي وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَبَنِي» (نهج البلاغة، الرسالة ٥٧، ش ٢). ويهدف عليه السلام من هذا الأمر إلى ترويض ثقافة «تقبل النقد».

٢. التوكل على الله

إن ذكر الله والتوكل عليه واعتباره رقيباً على أعمال الإنسان عقيدة دينية تحمي الإنسان من الفساد. يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا» (الأحزاب/٤١-٤٢).

- سيد كاظم جواشي، دراسة التوجهات النظرية إلى الإدارة الإسلامية، مجلة القرآن الكريم للبحوث متعددة الاختصاصات، العدد ٢، ربيع ١٣٨٨.

- زهره موسى زاده ومريم عدلي، معايير اختيار المدراء في نظام الجدارة من وجهة نظر نهج البلاغة، مجلة الإدارة الاستراتيجية، العدد ٥، ربيع وصيف ١٣٨٨.

- منصور اعتصامي وحامد فاضلي كبريا، إطلالة على النمط الإداري للإمام علي (ع) من حيث عناصر رأس المال الاجتماعي، مجلة الإدارة الاستراتيجية، العدد ٦، خريف وشتاء ١٣٨٨.

- أمير اعظمي، بحوث حول تعاريف المنظرين للإدارة الإسلامية، مجلة الإسلام والإدارة، العدد ٤، خريف وشتاء ١٣٩٢. نستنتج مما سبق أنه لم يجر بحث مستقل حول مقارنة المؤشرات الإدارية من خلال التعاليم النبوية والعلوية.

الأسس النبوية الإدارية من وجهة نظر النبي الكريم(ص) والإمام علي(ع)

ركّز الباحثون اهتمامهم في السنوات الأخيرة على الجوانب المادية لدراسة الأسس العامة للإدارة، مهملين تحليل الجوانب الفكرية واللامادية. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تأثرت الجوانب الفكرية بالنظريات والآراء التي تشكلت على أساس التحولات المادية. ومن وجهة نظر علمية، يمكن اعتبار مجال السياسة مجالاً يناقش الطريقة الصحيحة للتفكير، ويرتبط في الواقع بالجوانب المادية في هذا الصدد، لأن الحركة والمثابرة سلوك يعتمد على الجانب المادي (لمحة عن الإدارة في الإسلام، ١٣٧٣: ٥٩).

من البديهي أننا نحاول دائماً العثور على المبدأ الأساسي الذي يقود إلى ازدهار الفكر الإسلامي والعلوم في الساحة السياسية العامة للإدارة، ولكن بناءً على الأفكار الإدارية للنبي (ص) والإمام علي (ع)، ولأجل الوصول إلى هذا الازدهار فينبغي أن نلتزم ببعض المبادئ في مجال إدارة المجتمع والتي تشكل صلة وصل بين الناس والقادة بهدف تعزيز الأهداف المتسامية للمجتمع. وبناء على ذلك، إذا تأملنا قليلاً في أفكار النبي (ص) والإمام علي (ع)، فيمكننا العثور على العديد من المبادئ البارزة والأساسية للإدارة، والتي أكدت النصوص الدينية دائماً على الحاجة إلى الاهتمام بها.

في الإدارة الإسلامية، يتمثل المرجح الأمثل لاستخراج معايير نظام الجدارة واختيار قادة المجتمع ومدرائه وتقييمهم، في كلام أئمة الدين وعظمائه. ومن هذا المنطلق، فإن تعاليمهم تنقذ الإنسان المعاصر الذي يعاني من العزلة وأزمة الهوية في عصر المعلومات. وتبين سيرة النبي الكريم (ص) وأمير المؤمنين عليه السلام أن النمط الدقيق المبني على التعاليم الإسلامية الحنيفة، سيكون الخلاص الواعد للمجتمعات الحديثة وكفيلاً بسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة (افجهاي، ١٣٧٧: ٤٠).

يقوم المدير باستعراض آراء الآخرين ومعرفتها بكافة جوانبها، فهناك احتمال لحدوث أخطاء في صنع القرار. إذا استعرضنا أفكار الإمام علي (ع) فسنجد نقطة دقيقة، وهي في الواقع مزيج من الحسم القيادي في التشاور والثقة المتبادلة بين الشعب والقيادة. ويخاطب عبد الله بن عباس الذي عبر عن آرائه حول قضية لكن الإمام عليه السلام رفضها وقال: " لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ فَإِنْ عَصَيْتَكَ فَأَطْعِمِي " (المرجع نفسه، الحكمة ٣٢١). إن ما يعنيه كلام الإمام هو التقييد بقوانين المجتمع والطاعة لمنفذ القانون والذي هو في الواقع قائد المجتمع ومديره، والإدارة الناجحة لديها القدرة على تطبيق السياسات الصحيحة في ظل النقد والتشاور مع الأصدقاء.

٤. احترام العزة والكرامة الإنسانية

يقول تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» (الإسراء/ ٧٠). ويجب على مدير المجتمع أن يؤمن بمبدأ العزة والكرامة الإنسانية وأن يحترم كرامة الآخرين. وقد كان النبي (ص) يفعل ذلك أيضاً. إذا أدرك الشخص كرامته الذاتية، فلن يخضع للذل أبداً، بل سيكون رجلاً حراً يعمل على مرضاة الله. يقول النبي (ص) في باب قيمة الإنسان المؤمن لأحد أنصاره: «يا أباذرُّ سبَّابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَحُرْمَتُهُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ ذِمَّتِهِ» (خرمشاهي، ١٣٧٩: ١٤٤، ش ١٥).

وطالما تم التأكيد على كرامة الإنسان في جميع الأديان السماوية، وظل علماء المسلمين وعلماء المجتمع الإسلامي يصرون باستمرار على ضرورتها. ومن هذا المنطلق فإن اعتدال القيادة في الأخلاق الاجتماعية والتحذير من سوء معاملة الشعب باستمرار، عبارة عن مبدأ إداري في فكر النبي (ص) وأنصاره. يقول الإمام علي عليه السلام لأحد أتباعه في هذا الشأن: «فَأَلْسِنُ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللَّيْنِ تَشْوِيهِ بِطَرْفِ مَنْ الشَّدْوِ وَدَاوِلُ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّافَةِ وَامْرُجُ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيْبِ وَالْإِدْنَاءِ وَالْإِعْبَادِ وَالْإِقْصَاءِ» (الحكمة ١٩: ش ٣-٢). وفي مكان آخر، يعتبر الإمام كرامة الشعب من الفنون الإدارية ونموذجاً لنوعية العلاقات الاجتماعية والتعايش مع الشعب: «خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مُتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ وَإِنْ عَشْتُمْ حَنُوا إِلَيْكُمْ» (المصدر نفسه، الحكمة ١٠).

٥. المساواة بين الجميع أمام القانون

دين الإسلام هو دين ديناميكي ثوري، يركز على مبدأ المساواة والأخوة، كما أن الحيوية والديناميكية موجودة في جوهره دائماً وإلى الأبد (شرقاوي، ١٣٦٦: ١٢/١). تعبر قضية المساواة بين جميع البشر في الإسلام عن واقع موضوعي وعلمي. وتستند هذه المساواة إلى فلسفة المعتقدات العلمية والعقائدية، أي أن دين الإسلام يرتقي بـ "المساواة" إلى "الأخوة" (شريعتي، ١٣٩٤: ٣٤). إذا استعرضنا بعناية أفكار النبي محمد (ص)، فسنجد أيضاً أن مبدأ احترام المساواة الإنسانية نموذج إداري أكد عليه دائماً، حتى أنه قال فيما يتعلق

ويعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أساس الفكر الصحيح والسلوك القويم يكمن في التوكل على الله في الشؤون الإنسانية، ومن هذا المنطلق يقول في ذكر الله: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مِثْلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» (خرمشاهي، ١٣٧٩: ٦٨٦، ش ٨). ويعتبر عليه الصلاة والسلام في حديث آخر أن الأعمال تكتسب قيمتها عندما تكون في سبيل الله قائلاً: «يا ابنَ مَسْعُودٍ كُلُّ مَا أَبْصَرْتَهُ بِعَيْنِكَ وَاسْتَحْلَاهُ قَلْبُكَ فَاجْعَلْهُ لِيهِ فَذَلِكَ تِجَارَةُ الْآخِرَةِ. لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» (المصدر نفسه: ١٣٨، ش ٢٦). ويقول الإمام علي بصفته أحد أبرز قادة المجتمع الإسلامي بعد النبي محمد (ص) في باب التوكل على الله في الأعمال: «أَدْعُ إِلَيَّ سَبِيلَ رَبِّكَ وَأَكْثِرْ الْإِسْتِغَاثَةَ بِاللَّهِ يَكْفِيكَ مَا أَهَمَّكَ وَيُعْنِكَ عَلَيَّ مَا يُنْزِلُ بِكَ» (نهج البلاغة، الرسالة ٣٤، ش ٥). ومن البديهي أن صاحب القرار يحتاج في أغلب الأوقات إلى التوكل على الله لكي ينجز عمله دون خوف حيث يمنحه ذلك الشجاعة (مقيمي، ١٣٨٠: ٩). ويرى الإمام علي (ع) أن السيادة المطلقة لله وحده، ولذلك يجب على الحاكم الإسلامي أن يعتمد على سيادة الله وقدرته لتنفيذ الأحكام والأوامر الإلهية.

٣. التشاور مع الآخرين

إن التشاور مع أصحاب وجهات النظر وقبول آراء الآخرين هو أحد مبادئ السيرة النبوية التي لا جدال فيها. يدعو الله سبحانه وتعالى النبي إلى التشاور مع أنصاره قائلاً: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» (آل عمران: ١٥٩).

تباعاً لهذا المبدأ، كان عليه الصلاة والسلام يستشير أنصاره ويطلب وجهات نظرهم قبل أن يدعو الملوك وقادة الدول الأخرى إلى الدين الإسلامي الحنيف. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن يمتنع عن استشارة الآخرين في أية قضية أخرى هامة كانت تقع في المجتمع الإسلامي، وذلك تنفيذاً للتعليمات القرآنية الصريحة، ومن أجل تعليم الطريقة الصحيحة للحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، بحيث لا يتصرف الآخرون بشكل تعسفي في القضايا الخطيرة، ولا سيما فيما يتعلق بشؤون المجتمع (صابري، ١٣٦٨: ٨).

ومن هذا المنطلق يؤكد على التشاور ومكانته الخاصة في الفكر النبوي: «إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ فَلْيَشِرْ عَلَيْهِ» (خرمشاهي، ١٣٧٩: ٧٠٨، ش ٦٤). ويعتبر التفكير الحكيم والتشاور عنصران لا ينفصلان: «الْحَزْمُ أَنْ تُشَاوِرَ ذَا رَأْيٍ ثُمَّ تُطِيعَهُ» (المصدر نفسه: ٧٧٢، ش ٤٦٤).

وكذلك فإن الإمام علي (ع)، يعتبر التشاور أيضاً مبدأ هاماً على الجميع يأخذوا به، لأن الشخص الذي يتشاور مع الآخرين يصبح شريكاً لهم في حكمتهم وفكرهم «وَمَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا» (نهج البلاغة، الحكمة ١٦١).

إن ممارسة هذا المبدأ من قبل الحكام والمدراء الإسلاميين هي مهمة حتمية، لأن قراراتهم تحدد مصير المجتمع. ومع ذلك، إذا لم

تَوَادَّهُمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْحَسَنِ: إِذَا اشْتَكَيْ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْحَسَنِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمِيِّ» (خرمشاهي، ١٣٧٩: ٢٤٢، ش ٣٨).

إذا بحثنا في عقائد المسلمين فسوف نكتشف أن الأخ في الدين هو صديق الإنسان وناصره في الدنيا والآخرة. نقل عن علي (ع) في كتاب نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة أنه قال: «عليكم بالإخوان فَإِنَّهُمْ عُدَّةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَلَا تَسْمَعُونَ إِيَّايَ قَوْلِي تَعَالَى فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ» (محمودي، ١٩٦٥: ٤٠٧/٧).

وبما أن الوجود في الفكر الإسلامي ينبع من الذات الإلهية، والبشر هم أيضا جزء من هذا كله، لذلك يدعو الله عز وجل الوجود بأكمله في هذا العالم إلى التعاون. واستناداً إلى هذه الطريقة في التفكير، فإن النبي (ص) يعتبر التعاون الاجتماعي وسيلة لتحقيق الكمال في المجتمع ويدعو أفرادها إلى التقارب والتعاون: «المُسلِمُ أخُو المُسلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (خرمشاهي، ١٣٧٩: ٣٩٨، ش ١).

٧. مداراة الناس

من خلال دراسة آثار الحضارات السابقة، اعترف علماء الاجتماع بأن الحياة الاجتماعية ضرورة لا يمكن إنكارها، فالإنسان اجتماعي بالفطرة ولديه روح جماعية (دشتي، ١٣٨٠: ١٤٧). من هذا المنطلق، يرى علي (ع) أن إدراك معنويات الشعب والتنسيق معهم في مجتمع نام هو حاجة حيوية. يقول عليه السلام: «مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ (نهج البلاغة، الحكمة ٤٠١).

ومن الجدير بالذكر أن الإمام علي (ع) يعتبر معرفة حاجات الناس من طرق مواجهة الظواهر الاجتماعية. لأنه إذا لم يكن القائد على معرفة مناسبة بهؤلاء الأفراد، فلن يكون قادراً على السيطرة على سلامة المجتمع وتوجيهه إلى الطريق القويم، وبالتالي فلن يكون أفراد المجتمع على توافق معه. وفي هذا الصدد يعتبر النبي (ص) أن معرفة معنويات الشعب والتساهل معه في الشؤون السياسية والاجتماعية يجب أن تكون على رأس جدول أعمال المدير الإسلامي في النظام السياسي التوحيدي فيقول: «بَا ابْنَ مَسْعُودٍ لَا تَكُنْ مِمَّنْ يُشَدُّ عَلَى النَّاسِ وَيُخَفِّفُ عَنْ نَفْسِهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ» (خرمشاهي، ١٣٧٩: ١٣٦، ش ١٦).

إن الثقة بالناس، ومداراتهم من أهم سمات الإدارة الناجحة. يقول علي (ع) مخاطباً مالك الأشتر ناصحاً إياه بجلب ثقة الشعب: «وَأَشْرِعْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ. وَتَعَرِّضْ لَهُمْ الْعِلْلَ وَيُوتِي عَلِيٌّ أَيْدِيَهُمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَاءِ فَأَعْطَاهُمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفَّحَكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفَّحَهُ» (نهج البلاغة، الرسالة ٥٣).

و بهذه الطريقة، فإن الحكومة القائمة على المودة تجاه الرعية، ستكون أكثر رسوخاً من حيث ثقة الشعب في المجتمع، وسوف تدفع بأفراد الشعب للتخلي عن مصالحهم الشخصية أمام المصلحة العامة مما

بأهمية المساواة بين الناس في الحقوق الاجتماعية: «النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ سَوَاءٌ» (خرمشاهي، ١٣٧٩: ٨٦٤، ش ١٠٤٢).

في الأفكار السامية للنبي محمد (ص) والإمام علي (ع)، يعتبر احترام الإنسانية والقانون من مبادئ الإدارة الإسلامية التي تتطلب الالتزام الدائم بالعدل لتحقيقه. ويعتبر الإمام علي (ع) أن المساواة بين شعوب المجتمع جزء لا يتجزأ من قيادته، فيدعو إلى العدالة للحفاظ على هذه المساواة: «وَلَيْكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ» (نهج البلاغة، الرسالة ٥٣، ش ٢٠).

وخلافاً للحكومات الأخرى التي يعتبر مداراؤها أن الاستفادة القصوى من مرافق المجتمع حقهم الطبيعي والقانوني في الحكومة الإسلامية، فإن المدراء لا يتمتعون أبداً بهذا الحق في الحكومة الإسلامية، لأنه لا يحق لهم استخدام المرافق العامة إلا كسائر أعضاء المجتمع ولا يتمتعون بأي امتياز حيال القوانين والأنظمة.

٦. مشاركة الشعب وشعوره بالمسؤولية في العملية السياسية

ويلعب التعاون المتبادل بين المسلمين في المجتمع الإسلامي دوراً مركزياً كمبدأ آخر في تنظيم شؤون المجتمع الإسلامي. ففي المجتمعات الإسلامية التي تستند إلى الإدارة السليمة، يمكن للشعب أن يطرح مخاوفه ومشاكله بسهولة. إن نسبة مشاركة الشعب في العملية السياسية تعبر عن المستوى العالي للإدارة الإسلامية. وتنطوي المشاركة السياسية أساساً على نوع من الربط بين المجموعات وبقية أفراد المجتمع، لأنها تظهر أن الجميع يعملون معاً لتحقيق هدف مشترك، وهذا يؤدي إلى توحيد الثقة الاجتماعية أكثر فأكثر بين الجماعات وتوطيد مصالح الحكم السياسي وصونها (اعتصامي وفاضلي، ١٣٩٣: ٣٦-٣٧). ويخاطب الله تعالى المؤمنين في هذا الصدد قائلاً: «وَتَعَاوَنُوا عَلَيَّ السِّرِّ وَالنُّجْوَى وَتَعَاوَنُوا عَلَيَّ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (المائدة/ ٢). ومن الواضح أن المؤمنين يتعاونون مع بعضهم في مجال الأعمال الصالحة، لأن التعاون يهدف إلى إرساء دعائم الحق وهذا ترسيخ للإيمان والثقة، أما التعاون من أجل مساعدة الباطل فهو خطيئة وخيانة (دارابي، ١٣٧٨: ٢١٧).

وفي المجتمعات التي يشعر فيها الشعب بتلبية احتياجاته، وتحققها، فإن المشاركة في القضايا السياسية للمجتمع تتم أيضاً بشكل صحيح. ونتيجة لذلك فإن المجتمع سوف يشهد تقدماً وتطوراً. في مثل هذا المجتمع، تتكون الثقة بين المؤسسات المختلفة بشكل مناسب. يقول علي (ع) في هذا الشأن مخاطباً والي مكة: «وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهَكَ وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَتِهِ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ زِيدَتْ عَنْ أُبُوَيْبِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدَ قِيَمًا بَعْدَ عَلِيٍّ قَضَائِهَا» (نهج البلاغة، الرسالة ٦٧).

كما يؤكد النبي (ص) على المودة والعطف بين المؤمنين معتبراً إياها نمط التعاون المناسب لسائر الشعوب ويقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي

٩. التمتع بالخبرات اللازمة

المهارات والخبرات هي القدرة على التصرف، والتي يتمتع بها المدراء الناجحون. "يمكن أن تتحقق المهارات في مجال العقل والروح والجسد، وبعبارة أخرى، لدى البشر سلوكيات عقلية مثل التفكير والتذكر والاستدلال وغيرها وسلوكيات روحية مثل الصداقة والعداء وصنع القرار والأمل وغيرها وسلوكيات جسدية مثل الرؤية والسمع والكلام وغيرها. المهارة هي في الواقع نفس القدرة النابعة من الخبرة" (جاوشي، ١٣٨٨: ٤٧-٤٨).

لذلك، فمن الضروري أن يتمتع المدير والقائد في المجتمع الإسلامي بالمهارات والخبرات اللازمة. هذا المبدأ هو واحد من المثل العليا في البحوث الإدارية في الفكر النبوي والعلوي. يشير النبي (ص) إلى أهمية المعرفة والخبرة في إدارة شؤون البلاد قائلاً: «مَنْ عَمَلَ عَلَيَّ غَيْرَ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ» (خرمشاهي، ١٣٧٩: ٥٨٦، ش ١٤). وتحتل أهمية التخصص في إدارة شؤون المجتمع مكانة خاصة حتى أن النبي (ص) يعتبر الاقتراحات غير المتقنة في هذا المجال ممنوعة: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا سُئِلْتَ عَنْ عِلْمٍ لَا تَعْلَمُهُ فَقُلْ لَا أَعْلَمُهُ. تَنْجُ مِنْ تَبَعِيهِ وَلَا تَقْتِ بِمَا عِلْمُ لَكَ بِهِ تَنْجُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (المصدر نفسه: ١٤٨، ش ٢٦).

ومن أهم النقاط الرئيسية التي نحتاج إلى مناقشتها في المنهج النبوي هو أن «المنطق العملي في الإسلام» له أهمية قصوى، لأن الاهتمام بالعمل لا يقل أهمية عن الاهتمام بالعلم. يقول علي (ع) في هذا المجال: «الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ» (نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٧).

وطالما كان الجمع بين العلم والخبرة أكثر الطرق فعالية للتقدم البشري. يتم الحصول على الخبرة والدراية عندما تحظى المعرفة باهتمام قادة المجتمع بشكل تطبيقي. يقول علي (ع): «أَوْضَعِ الْعِلْمَ مَا وَقَفَ عَلَيَّ اللَّسَانُ وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي جَوَارِحِ الْأَرْكَانِ» (المصدر نفسه، الحكمة ٩٢).

١٠. التقوى الإلهية والأخلاق الإسلامية

تعتبر التقوى أعلى معيار للإدارة الإسلامية وتُفوق البشر. لقد جعل الله التقوى مصدراً للكرامة الإنسانية، لأن الفضيلة الإلهية هي الحصن الذي يحمي الإنسان من جميع الآفات الداخلية والخارجية ويحمي الإنسان من الانزلاق في الخطيئة والهلاك. يعتبر علي (ع) أن التقوى درع متين (الخطبة ١٥٦) وأنها مفتاح الهدى والخلاص يوم القيامة حيث تحرر الإنسان من العبودية والبؤس (الخطبة ٢٢١). ويطلق علي (ع) على التقوى اسم درع اليوم وطريق الجنة غداً وأن الخوف من الله يقضي على الألم في القلوب ويشفي من عمى البصيرة (الخطبة ١٨٩)، ويصلح الفساد وينير الظلمات ويشعر القلوب بالأمان (الخطبة ١٨٩).

وتبلغ هذه القضية من الأهمية بمكان أن علياً (ع) أكد عليها في خطبه ورسائله التي كان يبدؤها دائماً بالتذكير بضرورة تقوى الله. ولهذا،

سيساعد على تيسير المساهمات والأنشطة الاجتماعية. يقول علي (ع) في رسالته إلى مالك الأشتر: «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعْمُهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ. فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يَجْحَفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنْ سَخِطَ الْخَاصَّةُ يَغْتَفِرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ... وَأَنَا عِمَادُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَدَّةُ لِلْإِعْدَاءِ الْعَامَةِ مِنْ الْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ وَمِثْلَكَ مَعَهُمْ» (نهج البلاغة، الرسالة ٥٣).

وفيما يتعلق بالأخلاق السياسية والاجتماعية للقائد والمدير الإسلامي، يعتبر عليه السلام في رسالة من رسائله أن مبادئ السياسة وتبدير شؤون المجتمع الإسلامي قائمة على التسامح والمساواة: «أَرْفِقْ وَأَعْتَرِمُ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا تَغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَأَسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرِ وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ وَلَا يَتَأَسَّ السُّعْفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ». (نهج البلاغة، الرسالة ٤٦، ش ٤٣، ٢٤).

٨. معرفة شؤون المجتمع

من بين مجموعة المواضيع المقدمة حول كيفية مواجهة القيادة لمختلف ظواهر المجتمع ونوعية أداء المدراء، يظهر أنه يمكننا اعتبار معرفة شؤون المجتمع والتمتع بالمعرفة والخبرة اللازمة واحدة من الركائز الرئيسية لخصائص المدراء الناجحين للمجتمع الإسلامي. تقتصر الطرق الرئيسية لمعرفة واقع العالم على الطرق التجريبية والأساليب الفكرية والفلسفية وعلوم الغيب والتواصل مع الوحي الإلهي، والطريقة الأخيرة خاصة بالأبياء والأولياء" (دشتي، ١٣٨٠: ٢٢). وبطبيعة الحال، يقصد بالمعرفة في بحث الإدارة، مجموعة القدرات المعرفية والإدراكية والذهنية المطلوبة من قبل المدير أو قائد المجتمع "وفي هذا الصدد، يمكن البحث في جميع السمات المذكورة بعناوين العلم والذكاء والبصيرة والحكمة والذاكرة في المصادر الثلاثة المتمثلة في القرآن والسنة النبوية والإجماع" (واقفي، ١٣٨٤: ١٥٠).

وطالما أكد النبي (ص) على ضرورة إنجاز الأعمال عن المعرفة والإنفاق، وذكر بها أصحابه حيث قال: «يَا ابْنَ مَسْعُودٍ إِذَا عَمِلْتَ عَمَلًا فَأَعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَقْلٍ وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا بِغَيْرِ تَدْبِيرٍ وَعِلْمٍ فَإِنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا» (خرمشاهي، ١٣٧٩: ١٣٦، ش ١٧).

ويعتبر علي (ع) أن هذا المبدأ الأساسي لا يستقل عن الحجة الإلهية ويرى أن هناك أشخاصاً واعين نهضوا بالاستعانة بالعلم والمعرفة. ويوضح عليه السلام قيمة الوعي والإنفاق في إنجاز الأعمال بمثال دقيق حيث يقول: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالظَّمَأُ وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السُّهْرُ وَالْعَنَاءُ حَتَّى تَوَمَّ الْأَكْيَاسُ وَافْطَأُهُمْ» (نهج البلاغة، الحكمة ١٤٥). إن الاهتمام بمعرفة الشؤون الإدارية لا يعزز تنمية أهداف المجتمع فحسب، بل يساعد إدارة المجتمع أيضاً على التقدم نحو تحقيق الجدارة والكفاءة، أي الشيء الأساسي الذي يحتاجه المجتمع البشري من أجل سلامه واستقراره.

٢. الأخلاق الاجتماعية، وتمثل في الزهد والتسامح والحسم وتجنب الترف والدكتاتورية.

٣. الأخلاق الدينية التي تشمل التضحية والتقوى والإيمان بالله والإخلاص وغيرها.

ومن هذا المنطلق طالما كانت العقائد والقيم الأخلاقية محط اهتمام العلماء والمفكرين الإسلاميين وعلى رأسهم النبي (ص) وعلي (ع). على سبيل المثال يقول النبي (ص) في باب أهمية الأخلاق الحسنة: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» (خرمشاهي، ١٣٧٩: ٧٥٢، ش ٣٤٠). ويقول علي (ع) في ذم الأخلاق الذميمة: «يَا عَلِيُّ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةٌ إِلَّا سَوْءَ الْخُلُقِ، فَإِنَّ صَاحِبَهُ كَلَّمَا خَرَجَ مِنْ ذَنْبٍ دَخَلَ فِي ذَنْبٍ» (المصدر نفسه: ١١٦، ش ٨). ويقول كذلك: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعَوْا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَأَلْفَوْهُمْ بِطَلْقِهِ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْبِشْرِ» (المصدر نفسه: ٣٣٠، ش ١٠).

ولذلك فإن التحلي بالأخلاق الحسنة أثناء التعامل مع الناس يعتبر من أبرز الأدوات الإدارية والقيادية. يقول علي (ع) في باب أهمية الأخلاق القيادية مخاطباً مالك الأشتر: «وَأَشْعُرُ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللِّطْفَ بِهِمْ» (نهج البلاغة، الرسالة ٥٣، ش ٨). ويؤكد في رسالة أخرى على ضرورة الأخلاق الإدارية معتبراً أن الاهتمام بطريقة تعامل الحاكم الإسلامي مع الناس يساعد في تحقيق الأهداف الاجتماعية: «سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبِ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ» (المصدر نفسه، الرسالة ٧٦).

الخاتمة

نستنتج مما تقدم أن مسألة قيادة المجتمع طالما اعتبرت جانباً سياسياً وثقافياً واجتماعياً وتربوياً هاماً على مر التاريخ، لأن لقادة المجتمعات دوراً حاسماً في تقدم المجتمعات أو انحطاطها. وعلى الرغم من أن الإسلام، من خلال تقديمه لقوانين وأنظمة سامية، يقترح طرقاً مناسبة لتحقيق الرخاء المادي والروحي، فمن الواضح أنه بدون حكم السلطة التنفيذية، لن يصل المجتمع إلى النتيجة المرجوة. ومن هذا المنطلق، يعتبر الدين الإسلامي أن وجود الحكومة في المجتمع البشري أمر ضروري. ويحتاج المجتمع في المنطق الإسلامي إلى اختيار قائد سواء كان جيداً أو سيئاً.

وتتمثل أهمية القيادة في المجتمع في أن الحياة الاجتماعية تتطلب قيام فرد أو أفراد بقيادة الشؤون المشتركة بين البشر وإدارتها، ومنع حدوث الفوضى ووضع الخطط المنهجية.

ولا يقتصر هذا الموضوع على مجتمع محدد، بل يشمل جميع دساتير البلدان التي تدار بمنهج ديمقراطي يهدف إلى منح شخص واحد سلطات وصلاحيات أكثر من غيره، مثل الملك أو الرئيس أو المستشار أو رئيس وزراء. ولذلك، أولى الإسلام اهتماماً خاصاً بقيادة المجتمع باعتباره ديناً شاملاً يهدف إلى توجيه جميع الأجيال في جميع الأوقات والأماكن. أسس النبي (ص) أول حكومة إسلامية بعد الهجرة إلى المدينة المنورة،

نلاحظ أنه يذكّر في رسالته إلى مالك الأشتر بتقوى الله قبل كل شيء، لأنه يرى أن مدير المجتمع مسؤول عن إرشاد الناس، فإذا لم يكن هو نفسه من المتقين فلن يتمكن من إرشاد أفراد المجتمع. مما تقدم نستنتج أن التقوى من وجهة نظر أولياء الله يمكن أن تؤثر في الإدارة الإسلامية في جانبين اثنين هما: تنوير البصيرة ومنح القدرة على حل المشاكل والتخلص من الأزمات والظلمات (موسى زاده و علي، ١٣٨٨: ١١٥).

وللأخلاق في إدارة المجتمع الإسلامي دور مهم ومؤثر جداً. إن الالتزام بالأخلاق الإسلامية عنصر مهم آخر في قيادة النظام الإسلامي وإدارته. فالأخلاق أو طريقة العمل عبارة عن مجموعة من القدرات الروحية والنفسية التي يحتاجها القائد أو مدير المجتمع. في هذا المجال، يمكننا دراسة جميع السمات المذكورة تحت عناوين العدالة والإنصاف والشجاعة والتواضع والأمانة والولاء والتقوى والأمانة والخير (جاوشي، ١٣٨٨: ٥٠).

وينبغي أن تستند أخلاقيات المدراء إلى المعايير الأخلاقية للإسلام. ومن أهم الأنماط الفردية التي يمكن أن تؤخذ معاييرها الأخلاقية في الاعتبار هي سيرة النبي (ص) والإمام علي (ع). يعتبر الله تعالى في القرآن الكريم الأخلاق الحسنة للنبي رحمة للناس، ويعتبر النبي (ص) أسوة حسنة لكل من يبحث عن الكمال.

يقول علي (ع) في هذا الشأن: «إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيَّ الْإِمَامُ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ الْإِبْلَاقُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالْإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ...» (ص) [نهج البلاغة، الخطبة ٣٢٥].

وبما أن معيار الإنسانية لا يقتصر على المعرفة والخبرة فحسب، بل يشمل المعايير الأخلاقية التي تم التأكيد عليها بجديّة في بحوث الإدارة، ولا سيما في الأفكار النبوية والعلوية، وذلك بغض النظر عن معايير العلم والمعرفة. وتتلق قضية الوعي والمعرفة بالجوانب التعليمية للإنسان وقضية الأخلاق البشرية بالأبعاد التربوية له. "إذا كنا نريد توعية الإنسان فعلينا أن نعلّمه، وإذا أردنا تعليم الأخلاق الإنسانية فيجب علينا تربيته. ولذلك، فإن التعليم شرط من شروط التربية، وهو شرط لازم وليس شرطاً كافياً" (مطهري، ١٣٨٥: ١٣٢).

فالأخلاق لهل علاقة مباشرة بأداء المدراء في المجتمع الإسلامي، فالمدير المتخلق بالأخلاق الإلهية الذي يؤمن بقدرة الله، لا ينهزم أمام المصاعب والأزمات، بل يتخذ القرارات الأكثر حكمة والأكثر تساهلاً من خلال الحفاظ على هدوئه. من ناحية أخرى، فهو يتخذ السلوك المتواضع والصادق والرحيم واللطيف ويلجأ إلى الاهتمام بالموظفين وجذب انتباههم مما يؤدي إلى زيادة كفاءتهم وتوفير جوٍّ من الحميمية في المجتمع. يمكن للمرء أن يدرس أخلاقيات مدراء النظام الإسلامي في ثلاثة محاور:

١. الأخلاق الفردية، وتمثل في الأمانة وحسن الخلق والمثابرة والصبر وضبط النفس.

- دارابي، علي (١٣٧٨). التاريخ التحليلي للإسلام مع نظرة النبي (ص) في بناء مجتمع إسلامي. طهران: مركز مطبوعات آية الثقافية.
- دشتي، محمد (١٣٨٠). الإمام علي (ع) والرقابة الشعبية. الطبعة ١. طهران: مؤسسة بحوث قوات التعبئة الشعبية.
- دشتي، محمد (١٣٨٠). الإمام علي (ع) والعلم والفن. الطبعة ١. طهران: مؤسسة بحوث قوات التعبئة الشعبية.
- رهبر، محمد تقي (١٣٨٥). السياسة والإدارة من وجهة نظر الإمام علي (ع). الطبعة ٤. طهران: دار نشر امير كبير.
- شرقاوي، عبدالرحمن (١٣٣٦). محمد رسول الحرية. ترجمه حسن اكبري مرزناك. طهران: دار نشر حكمت.
- شريعتي، علي (١٣٩٤). الدراسات الإسلامية. طهران: مطبوعات طوس.
- صابري همداني، احمد (١٣٦٨). محمد والقادة. الطبعة ٣. قم: مؤسسه مطبوعات دار العلوم.
- عابدي جعفري، حسن؛ محمد ازگلي (١٣٨٣). «بدايات تلويين الخطة العشرينية لنظام الإدارة الإسلامية الشامل». مجله العلوم الإنسانية، السنة ١٣، العدد ٥٢.
- غفاريان، وفا (١٣٧٩). الكفاءات الإدارية. طهران: مطبوعات مؤسسة الإدارة الصناعية.
- محمودي، محمدباقر (١٩٦٥). نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغه. الطبعة ١. بيروت: مؤسسه التضامن الفكري.
- موسي زاده، زهره؛ مريم عدلي (١٣٨٨). «معايير اختيار المدراء وتعيينهم بالاعتماد على نظام الجدارة في نهج البلاغة». مجلة الفكر الإداري، السنة ٣، العدد ١.
- مطهري، مرتضي (١٣٨٥). الحرية المعنوية. الطبعة ٣٤. طهران: دار نشر صدرا.
- مقيمي، سيد محمد (١٣٨٠). ميثاق الإدارة بنظرة مقارنة إلى المراسيم الحكومية الصادرة من الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر. طهران: مؤسسة كتاب مهربان نشر.
- نبوي، محمد حسن (١٣٧٨). الإدارة الإسلامية. قم: مركز دار نشر مكتب الحوزة للتبليغات الإسلامية.
- نظرة إلى الإدارة في الإسلام (١٣٧٣). مجموعة مقالات المؤتمر الدولي الرابع للإدارة الإسلامية علامه طباطبائي
- نهج البلاغه (١٩٩٥م). ترجمه وشرح علي نقی فیض الاسلام. طهران: دار نشر فيض الاسلام.
- واتقي، علي (٢٠٠٥م). الإدارة الإسلامية. الطبعة ٢. قم: دار نشر زمزم هدايت.

فقام بأخذ البيعة من مختلف القبائل، وأبرم عهد الأخوة بين المهاجرين والأنصار وترأس تلك الحكومة بنفسه. في ذلك الوقت، أصبحت المساجد مكاناً لتجمعات الدينية والاجتماعية والسياسية. وبهذه الطريقة، تم تحقيق مفهوم قيادة المجتمع الإسلامي منذ ذلك الوقت.

ومن هذا المنطلق فقد حدد النبي (ص) والإمام علي (ع) شروطاً لقيادة المجتمعات، حيث اعتبراً أن القيادة التي لا تتمتع بالكفاءة اللازمة أكبر آفة من آفات الدين، ولهذا يجب اختيار أفضل الناس لإرشاد المجتمع البشري. يجب أن يكون قائد الأمة أفضل الناس وأكثرهم إحراراً للشروط المطلوبة والتي تميزه عن الآخرين، وإلا فيستمر الهبوط بالمجتمع إلى أسفل الهاوية، ولن يسير على طريق السمو والتميز على الإطلاق. نستنتج مما سبق من استعراضنا للسيرة النبوية والعلوية أن أهم مؤشرات القائد الإسلامي عبارة عن: التشاور مع الخبراء، حماية الكرامة الإنسانية، التقيد بالقانون، التعاون مع الشعب لتطبيق القانون، التوكل على الله، التشاور مع الآخرين، المساواة بين الناس أمام القانون، إتاحة الفرصة للناس للمشاركة في العملية السياسية وشعورهم بالمسؤولية، مداراة الناس والاهتمام بشؤونهم، التمتع بالمعرفة اللازمة، التقيد بالأخلاق الإسلامية والتقوى الإلهية.

المصادر

- قرآن كريم.
- افجهاي، سيد علي اكبر (١٣٧٧). الإدارة الإسلامية. طهران: جهاد دانشگاهي.
- اعتصامي، منصور وحامد فاضلي كبريا (١٣٩٣). «تلويين نمط مقترح لعناصر رأس المال الاجتماعي بنظرة إلى مفاهيم نهج البلاغة». مجلة السياسة الاقتصادية، السنة ٦، العدد ١٢.
- تجليل تبريزي، ابوطالب (١٣٦١). يا ابا ذر (نصائح النبي الكريم لأبي ذر غفاري). طهران: دار نشر پیام آزادي.
- جمشيديان، مهدي (١٣٨٤). «لمحة عن الإدارة في الإسلام». مجلة الحوزة والجامعة، السنة ١١، العدد ٤٥.
- جاوشي، سيد كاظم (١٣٨٨). «دراسة التوجهات النظرية إلى الحكومة الإسلامية». المجلة التخصصية لبحوث القرآن متعددة الاختصاصات، السنة ١، العدد ٢.
- حراني، ابن شعبه (١٣٧٦). تحف العقول. تصحيح علي اكبر غفاري. طهران: دارالكتب الاسلاميه.
- خرمشاهي، بهاء الدين و مسعود انصاري (١٣٧٦). رسالة النبي (ص)، الطبعة ١. طهران: مطبوعات خانه منفرد.
- خنفر، حسين (١٣٨٠). تقديم نموذج تطبيقي في إدارة التربية والتعليم في البلد حسب آراء الإمام علي (ع). رساله دكتوراه، جامعة آزاد الإسلامية، فرع العلوم والبحوث.